بـاب

علـل الاستعاذة

«١» قال أبو محمد[١] : إن سأل سـائل فقال : لأي شيء جيء بالاستعاذة في أول الكـلام ؟ .

فالجواب أن الاستعاذة دعاء إلى الله جلّ ذكره واستجارة بـه من الشيطان ، وامتثال لما أمر بـه نبيه عليه السلام إذ قال له في كتابه : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشّيطان الرّجيم)[٢] «النحل ٩٨» .

«٢» فإن قيل : فما معنى الاستعاذة ، وما أصل «أعوذ»[٣] ؟ .

فالجواب أن معنى الاستعاذة الاستجارة والامتنـاع بالله[٤] من همـزات[٥] الشياطين بدلالة قوله تعالى : (وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين)[٦] «المؤمنون ٩٧» والشيطان في الاستعاذة[٧] اسم للجنس [٨] يُراد به الشياطين بدلالة الجمع في الآية ، فأما «أعوذ» فأصله «أعْوَذ» على وزن «أفعَل» مثل «أدخل» فألقيت حركة الواو على العين ، فسكنت الواو وانضمّت العين بمنزلة[٩] «أقول» ، وألف «أعوذ» ألف المتكلم في فعل ثلاثي في الماضي .

---

(١) قوله : «قال ابو محمد» سقط من : ص .
(٢) عبارة «ص» بعد لفظة «فالجواب» هكذا : «فالجواب ان لا إلـه إلا هو عز وجل واستجارة به من الشيطان الرجيم» وما سوى ذلك سقط منها .
(٣) قوله : «وما أصل اعوذ» سقط من : ص .
(٤) قوله « بالله » سقط من : ص .
(٥) أي نخسها وطعنها وغمزاتها ، ومنـه وصف العائب بـ «الهمزة» ، انظر تفسير غريب القرآن ٣٠٠ . والقاموس المحيط «همز» .
(٦) قوله : «بدلالة قوله ... الشياطين» سقط من : ص .
(٧) قوله : «في الاستعاذة» سقط من : ص .
(٨) ب ، ص : «اسم الجنس» ورجحت ما اثبته .
(٩) ص : «بمعنى» .

وعلة فتح[١] الألف أنها أخت الياء والتاء والنون اللواتي[٢] يدخلن في الفعل المضارع للدلالة على الحال والاستقبال ، فوجب أن تكون حركة الألف كحركتهن إن فُتحن فُتحت الألف ، وإن ضُممن ضمت الألف ، وكذلك[٣] قياس ألف المتكلم حيث وقعت .

«٣» فإن قيل : فهلا بقيت الواو مضمومة لسكون ما قبلها ، وصحّت كما صحت في قولهم : هذادلْو ، لسكون ما قبلها (٣/أ) ؟ .

فالجواب أن سكون العين في «أعوذ» ليس بأصل كسكون اللام في «دلو» ، وأصل العين الفتح في «عاذ» . وإنما سكنت العين لدخول الزوائد عليها ، ولئلا تجتمع أربع حركات متواليات في «يضرب ويخرج»[٤] ونحوه[٥] ، فلما كان سكون العين ليس بأصل لم يُعتد به ، وأعلّت الواو . وأيضا[٦] فإن الواو قد اعتلت في الماضي في «عاذ» فوجب أن تُعَلّ[٧] في المستقبل اتباعا ، لئلا يختلف حكم الفعل .

«٤» فإن قيل : فما الاختيار في الاستعاذة ؟ .

فالجواب[٨] أن الذي عليه العمل ، وهو الاختيار أن يقول القارىء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٩] . وعلة اختيار ذلك ما وقع في النص بلفظ[١٠] الأمر الذي معناه الترغيب في قوله : (فإذا قرأتَ القرآن فاستعذ بالله مِن الشيطان الرجيم)

---

(١) ص : «فتحة» .
(٢) قوله : «والتاء والنون اللواتي» سقط من : ص .
(٣) ص : «فكذلك» .
(٤) قوله : «في يضرب ويخرج» سقط من : ص .
(٥) ذلك ان ماضي هذين الفعلين اللذين مثل بهما وهما «ضرب وخرج» اجتمعت فيه ثلاث حركات ، فإذا دخل حرف المضارعة سكن أوله ، ولذا لم تجتمع فيه اربع حركات .
(٦) ص : «أيضا» .
(٧) ص : «تعتل» .
(٨) ص : «قال ابو محمد فالجواب» .
(٩) ص : «من الشيطان الرجيم» سقط من : ص .
(١٠) ص : «فلفظ» .

«النحل ٩٨» ، فحضّنا الله على قول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» عند القراءة، فعلينا امتثالُ هذا الذي رغّبنا فيه عند افتتاح القراءة .

«٥» فإن قيل : فإن لفظ القرآن أتى بلفظ الأمر والحتم به ، أذلك فرضٌ على كل من قرأ القرآن أم لا ؟ .

فالجواب أن لفظ الأمر في القرآن يأتي على وجوه كثيرة ، ليس معناها الفرض والحتم ، نحو قولـه : (وإذا حَلَلتُم فاصطادوا) «المائدة ٢» واللفظ لفظ الأمر ومعناه الإباحة[١] . ومثله : (فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا) «الجمعة ١٠» ويأتي لفظ الأمر[٢] ومعناه النَدْب والإرشاد كقوله : (وأنكِحوا الأيامى منكم) «النور ٣٢» ، و (فانْكِحوا ماطاب لكم مِنَ النساء) «النساء ٣» وكذلك[٣] قوله : (فإذا قرأتَ القرآن فاستعِذ بالله) معناه النَدْب والإرشاد . ليس على الفرض والحتم .

«٦» فإن قيل : فإن ظاهر النص أن يتعوذ القارىء بعد القراءة لأنـه قال : «فإذا قرأت القرآن فاستعذ» ، والفاء بعد ماقبلها تتبعه ، هو أصلها[٤] .

فالجواب أن المعنى على خلاف الظـاهر ، معنـاه : فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ، ودل على ذلك الإجماع أن الاستعاذة قبل القراءة ، ودليل هذا المعنى[٥] قوله تعالى : (وكم مِّن قريةٍ أهلكناها فجاءَها بأسُنا) «الأعراف ٤» فوقع في ظاهر التلاوة أن مجيء البأس بعد الهلاك ، وليس المعنى على ذلك ، إنما[٦] معناه : وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا . فمجيء البأس بعـد إرادة الهلاك وقبل الهلاك[٧] ، وكذلك التعوذ المأمور به يكون بعد إرادة القراءة ، وقبل القراءة على

---

(١) ص : «معنى الإباحة» .
(٢) قوله : «ويأتي لفظ الأمر» سقط من : ص .
(٣) ص : «فكذلك» .
(٤) قوله : «هو أصلها» سقط من : ص .
(٥) قوله : «قبل القراءة . . . المعنى» سقط من : ص .
(٦) ص : «وانمـا» .
(٧) قوله : «وقبل الهلاك» سقط من : ص .

أصل الفعل[١] .

«٧» فإن قيل : فمن أيّ شيء اشتُق الشيطان ، لعنه الله ، وما وزنه ،وما[٢] معناه ؟

فالجواب أن اشتقاقه فيه قولان : أحدهما أنه مشتق من «شَطَن» إذا بعُد ، يقال : دار شَطون ، أي بعيدة ، وبئر شطون ، أي بعيدة القعر ، فيكون وزنه على هذا «فَيْعالا» ، سُمّي بذلك لبُعده من رحمة الله . والقول الثاني أنيكونمشتقا من «شاط يشيط» إذا هلك ، فسُمي بذلك لهلاكه بمعصيته وغضب الله عليه ،فيكون وزنه على هذا «فعلان»[٣] .

«٨» فإن قيل : فما معنى «الرجيم» ؟ .

فالجواب أنّ فيه ثلاثة أقوال : الأول أن يكون بمعنى «مرجوم» وصف (٣/ب) بذلك لأنه يُرجم بالنجوم عند استراقه السمع ، قال الله جلّ ذكره في الكواكب (وجعلناها رُجوما لّلشياطين) «الملك ٥» ، والثاني أن يكون بمعنى «المرجوم» أي : المشتوم على معصيته كما قال تعالى : (لئن لّم تنته لأرجُمَنّك) «مريم ٤٦» أي : لأشتمنك والثالث أن يكون بمعنى المرجوم أي : الملعون ، ومعنى «الملعون» المطرود المبعد من رحمة الله وجواره ، ومنه قوله تعالى : (لعنه الله) «النساء ١١٨» أي : أبعده من رحمته وطرده من جواره[٤] .

«٩» فإن قيل : فما وجه ما ذكرته في «كتاب التبصرة» أن خَلَفا[٥] روى عن

---

(١) تفسير ابن كثير ١٢/١ ، ومجالس ثعلب ٣٠٢ ، وباشبعمنه في إيضاحالوقف والابتداء ٥١١ ، والقرطبي ٨٦/١ ، والنشر ٢٥٧/١

(٢) لفظ «وما» سقط من : ص .

(٣) وعلى الاول ابن قتيبة انظر تفسير غريب القرآن ٢٣ ، والقاموس المحيط «شاط ، شطن» .

(٤) وفيه وجوه أخر تستفاد من مادة «رجم» في القاموس المحيط .

(٥) هو خلف بن هشام ، احد القراء العشرة ، واحد الرواة عن سليم عنحمزة الزيات ويعقوب . وثقه ابن معين والنسائي (ت ٢٩٩ هـ) ترجم فيطبقات ابن سعد ٣٤٨/٧ ، والجرح والتعديل ٣٧٢/٢/١،وطبقات القراء٢٧٢/١

حمزة[١] أنه كان يُخفي التعوذ[٢] ؟ .

فالجواب أنه إنما كان يفعل ذلك لئلا يظن ظـان أو يتوهم متوهم أنـه من القرآن ، أو أنه[٣] فرض لازم فتعوّذ في نفسه اتباعا لحضّ الله على ذلك .

«١٠» فإن قيل : فما وجه ما ذكرت أنه روى سُلَيْم[٤] عن حمزة أنه كان[٥] يخفي التعوذ والبسملة[٦] ؟ .

فالجواب أن ذلك إذا صحّ ، فمعناه أنه أخفاهمـا لئلا يظن ظـان أنهما من القرآن فاكتفى بالإخفاء عن الإظهار ، ولأنه إنما يُقرأ عليه القرآن،ولذلك أخفى[٧]. والتعوذ والبسملة ليسا من القرآن ففرّق بالإخفـاء[٨] ، بين مـا ليس بقرآن وبين ما هو قرآن . وأما سائر القراء فأظهروهما إذ قد وقر[٩] في النفوس ، وعلم أنهما

---

(١) هو حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة ، وفي الطبقة الرابعة من الكوفيين ، وثقه ابن حنبل والنسائي وابن معين (ت ١٥٦ هـ) ترجم في طبقات ابن سعد ٣٨٥/٦ ، والجرح والتعديل ٢٠٩/١/١ ، وطبقات القراء ٢٦١/١

(٢) التبصرة ١١/ب ، والتيسير ١٧ ، والنشر ٢٥١/١

(٣) ص : «وانه» .

(٤) ب : «سليمان» فصوب ، وهو سُلَيْم بن عيسى ، مقرىء ضابط ، عرض القرآن على حمزة ، وهو أخص أصحابه واضبطهم واقومهم بحرفه ، عرض عليه الدوري وخلف بن هشام وخلاد بن خالد وغيرهم ، (ت ١٨٨ هـ) ترجم في ميزان الاعتدال ٢٣١/٢ ، وطبقات القراء ٣١٨/١

(٥) قوله : «انه كان» سقط من : ص .

(٦) التبصرة ١١/ب ، والتيسير ١٧ ، والنشر ٢٥١/١

(٧) ب ، ص : «جلس» ولا وجه له عندي ، ورجحت ما اثبته .

(٨) ب : «بين الإخفاء» وتصويبه من : ص .

(٩) ب : «وقرت» ، ص : «تقرر» وبحذف التاء الوجه .

ليسا من القرآن ، إنما هما للاستفتاح والدعاء والتبرك ، وهو الاختيار ، وعليه العمل عند القراء في سائر الأمصار .

«١١» فإن قيل : فما وجه ماذكرته عن المُسَيِّبي[١] عن نافع[٢] أنه ترك التعوّذ والجهر بالبسملة[٣] ؟ .

فالجواب أنه على معنى ماذكرنا ، أنه أخفاهما إذ ليسا من القرآن ، ولئلا[٤] يظن ظان أنهما من[٥] القرآن ، ذلك[٦] أنه أسقطهما مرة واحدة .

والمشهور عن نافع وغيره إظهارهما[٧] .

---

(١) هو محمد بن إسحاق ، روى القراءات عن أبيه عن نافع ، والحديث عن يزيد ابن هارون وابن عيينة ، وعنه ابو زرعة ومسلم بن الحجاج وابو داود ، (ت ٢٣٦ هـ) ترجم في التاريخ الكبير ١/١/٤٠ ، والوافي بالوفيات ٢/١٨٩ ، واللباب ٣/١٢٧

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم ، احد القراء السبعة وهو احد الحرميين مع ابن كثير كما يذكر مكي في التبصرة ١/٥ ، اخذ القراءة عرضا عن جماعة من تابعيي أهل المدينة ، ورواها عنه عرضا وسماعا إسماعيل بن جعفر وعيسى بن وردان ومالك بن انس وغيرهم ، (ت ١٦٩ هـ) ، ترجم في الجرح والتعديل ٤/١/٤٥٦ ، وطبقات القراء ٢/٣٣٠ ، وخلاصة التذهيب ٣٤٢

(٣) التبصرة ١١/ب ، والتيسير ١٧ ، والنشر ١/٢٥١

(٤) ص : «لئلا» .

(٥) ص : «انهما ليسا من» .

(٦) ب : «وليس ذلك» وتوجيه العبارة من : ص .

(٧) هو مذهب جمهور المغاربة واهل الاندلس ، انظر النشر ١/٢٥١ ، ٢٦٤